جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مبدأ التعاون والتأدب في الخطاب السياسي
[مناظرة النبي صلي اللّه عليه وسلم لعتبة بن ربيعة نموذجاً]

الدكتور
عبدالعزيز صابر عبدالعزيز
أستاذ علم اللغة المساعد بكلية دار العلوم - جامعة المنيا
جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الثالث عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

مبدأ التعاون والتأدب في الخطاب السياسي

[مناظرة النبي صلي الله عليه وسلم لعتبة بن ربيعة نموذجاً]

عبدالعزيز صابر عبدالعزيز

قسم اللغة العربية ـ علم اللغة ـ بكلية دار العلوم – جامعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: Azizsaber2020@yahoo.com

الملخص

هدف هذا البحث إلي بيان الدور الفعال الذي يقوم به كل من التعاون والتأدب في الخطاب السياسي ؛ حيث إنهما يؤديان دوراً مهماً في ربط الكلام.

وقد كان اختياري لدراسة هذين العنصرين بالذات ؛ لما لهما من حضور قوي داخل هذه المدونة النصية.

وحاول البحث الإجابة عن السؤال المحوري الآتي :

هل يأتي التأدب في الخطاب السياسي من باب الخداع والتمويه أم من باب الصدق والنية الخالصة ؟

وقد توصل البحث إلي مجموعة من النتائج ؛ منها :

١- أن مبدأ التعاون يعد من المبادئ الأساسية التي يرتكز عليها الاستلزام الحواري .

٢- ظهر من خلال البحث الدور المهم لهذين المبدأين في ربط الكلام .

الكلمات المفتاحية: مبدأ التعاون – مبدأ التأدب – الخطاب السياسي – المناظرة

The principle of cooperation and Politeness in Political Speech - Debate between Prophet Mohammad - Peace and Blessings of Allah .Be Upon him - and Utbah bin Rabieah, as Model

Abdulaziz Saber Abdulaziz
Department of Arabic Language - Linguistics - Faculty of Dar Al Uloom - Minia University - Arab Republic of Egypt
Email: Azizsaber2020@yahoo.com

Abstract

This study aimed at identifying the effective role played by cooperation and politeness in political speech since they play an important role in connecting discourse elements.

The researcher chose to investigate these two elements in particular for their abundance in this blog.

The research aims to answer this core question: Does politeness in political speech occur as a way of deceit or csmoflage or as a way of truthfulness and good intention ؟

The following were some of the results obtained:

١. The principle of cooperation is one of the basic principles upon which Apocalypse is based.

٢. These two principles (cooperation and politeness) appeared to have a very effective role in connecting discourse

Keywords : The principle of Cooperation - The principle of Politeness - Political speech - Debate.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإطار العام :

يهدف هذا البحث [مبدأ التعاون والتأدب في الخطاب السياسي .... مناظرة النبي صلي الله عليه وسلم لعتبة بن ربيعة نموذجاً] إلي بيان الدور الفعال الذي يقوم به كل من هذين المبدآين [التعاون والتأدب] في الخطاب السياسي ؛ حيث إنهما يؤديان دوراً مهما في ربط الكلام ، ولذلك فقد " أعلي [جرايس] من شأنهما حين جعلهما سبباً في تماسك الكلام " (١) .

وفي المدونة المدروسة [مناظرة النبي صلي الله عليه وسلم لعتبة بن ربيعة] دلالات واضحة للجنوح إلي التعاون والتأدب من الطرفين ؛ طلباً للحقيقة ونشداناً للصواب .

وبناء عليه ، سيتضح – من خلال تحليلنا لهذه المدونة – أهمية هذين المبدآين في تحقيق تماسك الكلام ؛ إذ إن المسلك العاقل الذي سلكته المناظرة في معظم أطوارها ، يؤكد تعاون الطرفين إظهاراً للصواب .

ومن الدلائل الواضحة التي تؤكد تعاون الطرفين ، طريقة إصغاء كل منهما للآخر دون مقاطعة أحدهما للآخر .

وقد كان اختياري لدراسة هذين المبدآين بالذات ؛ لما لهما من حضور قوي داخل هذه المدونة النصية، حتي أننا نستطيع أن نقول : إن هذين المبدآين يعدان من أهم مبادئ ضبط الخطاب .

هذا عن الموضوع ، أما عن المناظرة [موضوع البحث] فقد حدثت تغييرات محورية في مسار الدعوة ؛ حيث أسلم كل من حمزة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وبإسلام هذين الرجلين تغيرت موازين القوي في

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مكة تغيراً ملحوظاً ، ولم يكن ذلك يخفي علي مشركي قريش وعلي زعمائها، فقد باتت الدعوة الإسلامية تتسلل إلي داخل بيوتهم .

وأمام تلك الأحداث الخطيرة دعا المشركون إلي عقد اجتماع عاجل علي مستوي قادة وزعماء مكة، وذلك لمواجهة الأزمة الجديدة التي باتت تهددهم وفي هذا الاجتماع تقدم [عتبة بن ربيعة] زعيم بني أمية وأحد حكماء قريش والرجل الأول فيها باقتراح قائلاً : [يا معشر قريش ، ألا أقوم إلي محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟] (٢) .

وكان هذا تنازلاً من زعماء قريش ، وهذا إن دل علي شئ ، فإنما يفسر الوضع الذي أصبحت فيه مكة بعد إسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما، ومع أن هذا العرض كان علي غير هوي الكثيرين إلا أنهم قد وافقوا مضطرين ، فقالوا : [بلي يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه] (٣) .

إشكالية البحث :-

من خلال هذا البحث سأحاول – بمشيئة الله تعالي – أن أجيب عن مجموعة من الأسئلة الآتية :-

[١] كيف يسهم كل من هذين المبدآين في إنجاح المناظرة ؟

[٢] ما الآليات التي يسلكها كل من المتناظرين في تحقيق أهدافهما ؟

[٣] أي هذه الآليات أنجح وأنجز في تحقيق المطلوب ؟

[٤] هل يأتي التأدب في الخطاب السياسي من باب الخداع والتمويه أم من باب الصدق والنية الخالصة ؟

وتحقيقا لهذه الأهداف الرامية إلي بيان دور مبدآئي التعاون والتأدب في تماسك الكلام، وضبط

الخطاب، *فقد جاءت محاور هذا البحث علي النحو الآتي : –*

[١] مفاهيم ومصطلحات .

[٢] نص المناظرة .

[٣] تحليل المناظرة .

[٤] نتائج البحث .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

[١]مفاهيم ومصطلحات :

[أ] مبدأ التعاون : -

لقد تبني [جرايس] مقترحات عديدة لتأويل العبارة أو الجملة ؛ حيث أكد علي ضرورة مراعاة العلاقة بين المتخاطبين في أثناء التلفظ بتلك العبارة أو الجملة ، ومراعاة ارتباطهما بالمقام الذي تنجز فيه، والانتقال من المعني الصريح إلي المعني غير الصريح ، وطبقاً لمبدأ التعاون (٤) فقد أدرك [جرايس] أن اللغة حاملة لمعني يختلف من مقام لآخر ؛ نظراً لتأثير العوامل المحيطة به ، ف [الناس في حواراتهم قد يقولون أكثر مما يقصدون ، وقد يقصدون أكثر مما يقولون ، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد] (٥).

لذلك كله ، فقد طرح [جرايس] نظريته [مبدأ التعاون] وهو المبدأ التداولي الأول لضبط الخطاب (٦)

وصيغته كالآتي : -

[ليكن انتهاضك للتخاطب علي الوجه الذي يقتضيه الغرض منك] (٧).

ولذلك ، لم يكن غريبا عندما عد العلماء أن أسمي مبدأ تهتم به التداولية هو مبدأ [التعاون] ؛ لما له من دور مهم في إنجاح المحادثة ؛ أي أن المتحادثين يتعاونون لاستمرار الحديث من خلال المساهمة والمشاركة في الحدث الكلامي المتواصل .

ومبدأ التعاون بين المرسل والمرسل إليه هو مبدأ عام يضم تحته أربعة مبادئ فرعية ،

وهي كالآتي(٨):-

أ- مبدأ الكم Principle of quantity

ب- مبدأ الكيف Principle of quality

ج- مبدأ العلاقة Principle of relation

د- مبدأ الجهة Principle of manner

إذن ، يتضح مما سبق أن الهدف من مبدأ التعاون هو " وضع أسس وقوانين منضبطة للحوار ، محترمة من طرفي التواصل ، حتي وإن لم يشعرا بها أو يعرفاها ، فهي معروفة ومركوزة في سليقة المتكلمين ، يفترض المتخاطبون علي بعضهم الاحترام المتبادل لهذه القواعد ، بما يسمح للمتقبل أن ينشئ الدلالة المناسبة ، فعلي المخاطب أن ينحرف عن الدلالة الحرفية ، ويتجاوزها ويبحث عن دلالة استلزامية غير مباشرة ، يجدها في مظان القول ، وهذا يفسر سبب الفشل في أي حوار لا يحترم تلك القواعد"(٩) .

وعلي الرغم من الطرح الذي طرحه [جرايس] حول هذا المبدأ ؛ وذلك باعتباره مبدأ مهماً من مبادئ التداولية (١٠) أقول علي الرغم من ذلك ، فإنه لم يسلم من الانتقادات التي وجهها له غيره في هذا الصدد ، فقد انتقد طه عبدالرحمن هذا المبدأ قائلاً : [إن مبدأ التعاون والقواعد المتولدة منه لا تضبط إلا الجانب التبليغي من التخاطب ، أما الجانب التهذيبي فقد أسقط اعتباره إسقاطاً] (١١) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كذلك فقد أشار [هيدسون] إلي أن مشروع [جرايس] لم يتجاوز بعض النماذج اللغوية المعروفة إلي أخري رغم طبيعتها المجردة ، وهو ما جعله يسجل عليه بعض المآخذ الآتية : (١٢)

[١] إن الغاية التي كان يهدف إليها [جرايس] من خلال القواعد التي وضعها هي تبادل الكلام تبادلاً فعلياً علي جهة الإخبار ، غير أن هذه الخصوصية ضيقة ، فكان لزاماً إعادة النظر فيها بهدف تعديلها لتكون معممة بقصود عامة باعتبارها تأثيراً وتوجيهاً لأفعال الآخرين .

[٢] نبه [جرايس] إلي الحالات التي يخفق فيها المخاطب في إنجاز قانون ما فينتج عن ذلك خرق لمبدأ تعاوني ، فتكون النتيجة أنه يصطدم مثلاً بقوانين تخاطبية أخري فيحل أحدها بانتهاك الآخر .

[٣] إن مجمل الأمثلة التي طرحها [جرايس] يمكن تصنيفها في مجموعتين أساسيتين :-

[أ] مجموعة تحترم القواعد التخاطبية ، فلا نجد خروجا عن المبدأ العام وقواعده الفرعية .

[ب] مجموعة يتم الخروج فيها عن القواعد الفرعية .

ومهما يكن من أمر ، فإن الفضل في استخراج مجموعة من المبادئ الحوارية المنظمة للتواصل المثالي يرجع – بلا ريب – إلي [جرايس] الذي عمد إلي الاهتمام بالمعاني الضمنية ، وفي هذا السياق تنبيه مهم إلي مظاهر المعني التي لا تحكمها قواعد لغوية ، بل تحكمها طريقة إنجاز الملفوظ داخل المقام .

[ب] مبدأ التأدب :-

كانت الانتقادات التي وجهت لقواعد [جرايس] حافزاً كبيراً في تطويرها ، ومن هذه القواعد [مبدأ التأدب] ؛ حيث يرجع صوغ هذا المبدأ إلي [روبين لاكوف] التي عابت علي الباحثين اكتفائهم بالجانب اللغوي للحكم علي مدي صحة الجمل، واعتماده معياراً وحيداً يقود إلي تفسير مقبول لبعض التراكيب ، وهو الأمر الذي جعل الباحثة تدعو إلي ضرورة الاهتمام بسياق التلفظ وما يحويه من افتراضات منطقية وتداولية (١٣) .

ولذلك ،فقد اعتبرت [روبين لاكوف] أن مبدأ التعاون الجرايسي ظل – بالرغم من أهميته – قاصراً عن إدراك خصوصيات المحادثات جميعها ، فلئن كان أقصي هم [جرايس] هو إظهار كيف نكون متعاونين في الخطاب؛ فإنه قد غض الطرف عن جانب آخر مهم لا يقل قيمة عن التواصل في الخطاب ألا وهو التهذيب ؛ ولذلك فقد صاغت [لاكوف] مقالتها الشهيرة وأسمتها منطق التأدب] ؛ حيث ذكرت The logic of politeness [" أن المتخاطبين في تبادلاتهم الكلامية يحرصون غالباً حرصاً شديداً علي الالتزام بقدر كبيرمن الأدب والبعد عن العداونية أكثر مما يتوخون الوضوح " (١٤).

ولقد قسمت [لاكوف] مبدأ التأدب إلي ثلاث قواعد رئيسة : (١٥)

[١] التعفف .

[٢] التشكك .

[٣] التودد .

يضاف إلي ذلك أن جوفري ليتش (Geoffrey Leach)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وضع حشداً من قواعد التأدب صائغاً مبدأ [التأدب الأقصي] واعتبره مكملاً لمبدأ التعاون ، وله صورتان : إحداهما إيجابية ، والأخري سلبية وهما (١٦) :-

- أكثر من الكلام المؤدب .
- قلل من الكلام غير المؤدب .

تلك إذن هي أهم القواعد اللسانية المتفرعة عن مبدأ [التأدب] الذي طرحته [لاكوف] و[ليتش] ، ومما لا شك فيه أن الأولي منهما قدمت بهذا المنطق إضافة قوية في مجال الدراسات اللسانية الحديثة ؛ حيث إنها جعلت مبدأ التأدب مبدأ خطابياً رئيساً يضاف إلي مبادئ [جرايس] في الخطاب ، فضلاً عن دوره المهم في التوسيع في مبادئ الخطاب التي لم تعد مقتصرة علي الجانب اللفظي فقط .

وبناءً علي ما سبق نستطيع أن نقول : إن مبدأ [التأدب] الذي طرحته [روبين لاكوف] يفضل مبدأ [التعاون] الذي طرحه [جرايس] ؛لأن الأول يجمع بين الحسنيين ؛ أي أنه يجمع بين الجانبين : التبليغي والتهذيبي من الخطاب .

[ج] المناظرة :

يعرف الميداني المناظرة قائلاً : [هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه ، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدي ظهوره] (١٧) .

وبناءً عليه ، فالمناظرة وفق هذا الطرح هي محاورة جدلية بين طرفين آراؤها متضادة حول قضية معينة .

وقد كانت هذه المجادلات سائدة في مجالات مختلفة كالأدب [المناظرة التي دارت بين الدكتور طه حسين وخصومه من الأدباء حول كتابه " في الشعر الجاهلي "] وفي مجال الدين الإسلامي [المناظرات التي كانت بين أئمة مسلمين وأنصار ديانات مخالفة للإسلام ، ومنها أيضا المناظرات بين الفقهاء والأصوليين حول الخلافات الفقهية وأصولها .

وقد تكون المناظرة بين طرفين ينتميان إلي تخصصات مختلفة ، ومثال ذلك المناظرة اللغوية الفلسفية التي دارت بين(متي بن يونس) القنائي الفيلسوف وبين (أبي سعيد السيرافي) في المفاضلة بين المنطق اليوناني والنحو العربي في مجلس الوزير أبي بشر الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات (١٨) .

ولقد وضع علماء آداب البحث والمناظرة جملة من الآداب ألزموا المتناظرين بها ؛ للحفاظ علي سلامة المناظرة ، وتحقيق الغرض المتوخي منها وهو الوصول إلي الحق ، أو إقناع الآخر به بعيدا عن التعصب للرأي ،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن أهم تلك الآداب ما يأتي :

[١] أن يتجنب المناظر مجادلة ذي هيبة يخشاه ، لئلا يؤثر ذلك عليه ، فيضعفه عن القيام بحجته كما ينبغي .

[٢] ألا يظن المناظر خصيمه حقيراً ضعيفاً قليل الشأن ، فذلك يقلل من اهتمامه ، فيمكن خصمه الضعيف منه .

[٣] ألا يظن خصمه أقوي منه بكثير ؛ حتي لا يتخاذل ويضعف عن تقديم حجته علي الوجه المطلوب .

[٤] ألا يكون في حالة قلق نفسي واضطراب ، أو في حاجة تفسد عليه مزاجه الفكري والنفسي ، كأن يكون جائعاً ، أو ظامئاً ، أو حاقناً ، أو حاقباً ، أو نحو ذلك .

[٥] أن يتقابل المتناظران في المجلس ، ويبصر أحدهما الآخر إن أمكن ، ويكونان متماثلين أو متقاربين علماً ومقداراً .

[٦] ألا يكون المناظر متسرعاً يقصد إسكات خصمه في زمن يسير ؛ لأن ذلك يفسد عليه رويته الفكرية ، ويبعده عن منهج المنطق السديد ، والتفكير في الوصول إلي الحق .

[٧] أن يقصد كل من المتناظرين المساهمة في إظهار الحق ولو علي يد خصمه .

[٨] أن يتجنب كل منهما الهزء والسخرية ، وكل ما يشعر باحتقار المناظر وازدرائه لصاحبه ، أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم ، كالتبسم والضحك والغمز والهمز واللمز .

[٩] أن يحترز المناظر عن الاختصار المخل في الكلام ، وعن إطالة الكلام بلا فائدة ترجي من ذلك .

[١٠] أن يتجنب المناظر الألفاظ الغريبة ، والألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معان ، من غير ترجيح أحدها الذي هو المراد .

[١١] أن يأتي كل من المتناظرين بالكلام الملائم للموضوع ، فلا يخرج عما هما بصدده .

[١٢] ألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهم مراده تماماً .

[١٣] أن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتي يفرغ من كلامه ، ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه .

[١٤] أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره ، أو يعترف بأن قوة دليله تقدم ترجيحا لوجهة نظره ، أو لمذهبه ؛ حتي يكتشف شئ آخر يضعف دليله ، ويجعله غير صالح للترجيح (١٩) .

والحقيقة التي يجب ذكرها في هذا الصدد أن الأربعة عشر شرطا هذه قد اجتمعت في هذه المدونة [موضوع البحث] ؛ حيث لم يخالف طرفا المناظرة [النبي صلي الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة] أدباً واحداً من جملة تلك الآداب ، بل كانا حريصين علي نجاح مناظرتهما؛ للوصول إلي الحقيقة المنشودة .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

[٢] نص المناظرة :

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً ، قال يوما وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله صلي الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلي محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ؛ فقالوا : بلي يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه ؛ فقام إليه عتبة حتي جلس إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : يابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ،وكفرت به من مضي من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها --قال : فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ؛ قال : يابن أخي ،إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتي تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا ،حتي لا تقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتي نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع علي الرجل حتي يداوي منه أو كما قال له – حتي إذا فرغ عتبة ، ورسول الله صلي الله عليه وسلم يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال فاسمع مني ؛ قال : أفعل ؛ فقال : " بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً

فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون " (٢٠) . ثم مضي رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرؤها عليه .

فلما سمعها منه عتبة أنصت لهاوألقي يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهي رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي السجدة منها ، فسجد ثم قال ، قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلي أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيره ، وإن يظهر علي العرب فملكه مللكم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم (٢١) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

[٣] تحليل المناظرة :

تلك إذن هي المناظرة التي جرت بين الرسول صلي الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة ؛ حيث كان الأخير منهما يهدف إلي أن يصرف النبي صلي الله عليه وسلم نظره عن الدين الإسلامي .

ولقد جرت مناظرة النبي صلي الله عليه وسلم لعتبة بن ربيعة في مسجد بيت الله الحرام ، وكان ذلك قبيل هجرة النبي صلي الله عليه وسلم بسنوات ؛ حين أسلم حمزة ، ورأي المشركون أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ، فعرض عتبة بن ربيعة ؛ باعتباره الرجل الأول وأحد زعماء قريش أن يذهب إلي النبي صلي الله عليه وسلم ؛ ليثنيه عن دعوته ، فكانت المناظرة .

في ظل هذه الأحداث حدثت المناظرة ، التي خاض طرفاها في أمر مهم وهو [أمر الدعوة الإسلامية] .

وقد آلت نتيجة المناظرة إلي النبي صلي الله عليه وسلم بعدما أقنع عتبة بن ربيعة بحججه التي رصدها ، والدليل علي ذلك عندما انتهت المناظرة ذهب [عتبة بن ربيعة] إلي أصحابه وسألوه : [ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه ، والله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيره ، وإن يظهر علي العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به] (٢٢) .

والحقيقة التي يجدر ذكرها – قبل تحليل المناظرة – أن عتبة بن ربيعة كان ذكياً ؛ حيث رتب كلامه ونظمه ، ونوع فيه بين الإغراء والتهديد ، وبين مخاطبة العقل ومناجاة القلب ، فلا عجب في ذلك ،ولم لا، وهو أحد زعماء قريش ورجلها الأول فبدأ كلامه برفع قدر النبي صلي الله عليه وسلم بقصد إحراجه نفسياً قائلاً : [يابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة ، والمكان في النسب] (٢٣) .

ثم بعد ذلك أتبع ذلك بالتلويح بما يعتبره جرائم كبيرة ،لا يجب أن تأتي من هذا الإنسان رفيع القدر قائلاً:

[قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضي من آبائهم] (٢٤) .

فهو أراد أن يقول : إنك متهم بزعزعة نظام الحكم في مكة ، فما لك أنت والدين ؟ دع الدين لأهل الدين ، كان عليك أن تدعه للكهان ، ومن يخدم الأصنام ، أنت قد أقدمت علي هذا العمل ، وقد تسبب عنه لقومك كذا وكذا وكذا ، وقد يكون ما أقدمت عليه مجرد خطأ غير مقصود ، ومن ثم – ولمنزلتك عندنا – سنعرض عليك أموراً فاخترمنها ما شئت.

بهذه الطريقة الشيطانية يريد عتبة بن ربيعة أن يخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم أن هذه العروض المطروحة ليست مجرد عروض مغرية فقط ، بل إن مجرد رفض هذه العروض معناه توجيه وإثبات التهم الخطيرة عليك .

وبناءً علي هذه الحيل الشيطانية ، فقد لجأ عتبة إلي هذه الحرب النفسية المغلفة بالتأدب والاحترام الكبير، وكان النبي صلي الله عليه وسلم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يعي هذه الحيل جيداً ، ويعي أيضاً أنها مساومة علي الدين ومع كل هذا، فقد كان النبي صلي الله عليه وسلم – في غاية الأدب مع عتبة ، فقال له في سعة صدر مدللاً ومنادياً إياه بكنيته وأحب الأسماء إليه : [قل يا أبا الوليد](٢٥) .

أولاً : مبدأ التعاون في المناظرة :

عندما يتناظر طرفان / شخصان ، فالشئ المؤكد هو أن ينشدا معا نحو التعاون بغية إنجاح المناظرة .

وفي هذه المناظرة دلالات واضحة للميل إلي التعاون من الطرفين ؛ تحقيقاً ورغبةً في الوصول للحقيقة .

يري [جرايس] أن " كل عملية تحاور بين طرفين تحتكم إلي مجموعة من القوانين والقواعد والمبادئ العامة التي يحتكم إليها طرفا الخطاب ، ولذلك ، فقد اشتملت المناظرة علي عدة قواعد ومبادئ عامة متفرعة عن مبدأ التعاون ، *وهي كالآتي :*

[أ] قاعدتا كم الخبر :

ومعني هاتين القاعدتين أن المخاطب يسعي جاهداً في إفادة المخاطب علي قدر الحاجة ؛ إذ في تجاوز القدر المطلوب تشتيت لتفكير طرفي المناظرة وحيلولة دون الوصول إلي حل الخلاف الذي يعد جوهر المناظرة ، ففي المناظرة التي بين أيدينا يظهر بوضوح هذا الجانب ؛ إذ يحرص النبي الكريم صلي الله عليه وسلم علي أن يكون رده وكلامه مع عتبة بن ربيعة دون تجاوز القدر المطلوب .

فبعد أن بدأ عتبة كلامه مسترسلاً ومبيناً مكانة الرسول صلي الله عليه وسلم بين قومه ، شرع عتبة في تقديم العروض الأربعة ، وبعد الانتهاء منها قال له النبي صلي الله عليه وسلم : [أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال فاسمع مني ؛ قال : أفعل ؛ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم . حم~ . تنزيل من الرحمن الرحيم .

كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون] (٢٧) .

فالمتأمل لرد النبي صلي الله عليه وسلم يتبين بوضوح أنه لم يتعد في رده لعتبة بن ربيعة القدر المطلوب؛ يقينا منه صلي الله عليه وسلم بذكاء ودهاء عتبة ؛ لأن ثمة معرفة مشتركة بين الطرفين [النبي صلي الله عليه وسلم + عتبة بن ربيعة] ، وبخصوص أهمية هذه المعرفة المشتركة في سير أي حوار / مناظرة يقول جورج لايكوف ومارك جونسن : [عندما لا يشترك الناس الذين يتحاورون في نفس الثقافة ، ونفس المعرفة ، ونفس القيم ، ونفس المسلمات، فإن الفهم المتبادل يكون صعباً] (٢٨).

إذن ، بدت هذه المعرفة المشتركة بصورة واضحة في المناظرة ، الأمر الذي ترتب عليه تحقيق الفهم المتبادل بين الطرفين ؛ حيث أسهمت بعض البني التركيبية في تحقيق هذا الفهم ، وتوزيع أدوار المناظرة بشكل منظم ، فما بين العرض والرد يأتي الفعل [قال] ؛ ليسهم بشكل كبير في ضبط الخطاب وتوزيعه بشكل عادل لكلا الطرفين ، فمن خلال الجزء السابق من المناظرة يدخل فعل القول [قال] ليقوم مقام المدبر لسير المناظرة ؛ حيث توكل إليه مهمة توزيع أدوار الكلام ، فهو الخط الفاصل بين مداخلة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عتبة بن ربيعة ومداخلة النبي صلي الله عليه وسلم ، وعلي هذه الشاكلة تسير المناظرة ، فكلما أنهي مشارك كلامه ، تدخل فعل القول معلنا بداية دور الآخر ، وضابطاً لفترات تدخل كل منهما .

وبذلك ، تكون المناظرة قد راعت قاعدتي كم الخبر وهما :

(أ) لتكن إفادتك المخاطب علي قدر حاجته .

(ب) ألا تتعدي إفادتك القدر المطلوب (٢٩)

ولا عجب في ذلك ، فالمتناظران [النبي صلي الله عليه وسلم + عتبة بن ربيعة] وهما من هما !

فقد كانا حريصين علي مراعاة هاتين القاعدتين ؛ إذ في تجاوز القدر المطلوب تشتيت للغة الطرفين وحيلولة دون الوصول لحسم الخلاف الذي هو لبٌ / أساس المناظرة ، ولذلك فقد رأي [جرايس] أن " كل عملية تخاطبية تضبطها قواعد يفترض علي المتحدثين احترامها ؛ لبلوغ الغاية من الخطاب وهي الإفادة والوضوح " (٣٠)

إذن ، فالطرفان هما من يصنعان هذا التعاون معاً ؛ حيث يتعاون كل من المتكلم والمخاطب لتحقيق الهدف الرئيس من العملية التخاطبية ألا وهو الإفادة وتحقيق التواصل بشكل جيد مما يسهم في نجاعة المناظرة .

فالغاية المرجوة إذن من هاتين القاعدتين هو تنظيم عملية التخاطب بين طرفي المناظرة ؛ إذ صور [جرايس] هذه القواعد علي شكل لعبة وما من لعبة إلا ولها قواعد تنظمها ، ولذلك يجب علي كل من طرفي الخطاب [المرسل / المرسل إليه] الالتزام بهاتين القاعدتين .

[ب] قاعدتا كيف الخبر :

وهاتان القاعدتان هما : (٣١)

[١] لا تقل ما تعلم كذبه .

[٢] لا تقل ما ليست لك عليه بينة .

ووفق هاتين القاعدتين اللتين تهتمان بكيفة سوق الخبر ؛ بمعني الكيفية التي سيق بها الخبر ، نلحظ أن النبي الكريم صلي الله عليه وسلم قد التزم بهما التزاماً واضحاً . ففي المناظرة استدل النبي صلي الله عليه وسلم بآيات من القرآن الكريم ، لم يستطع من هو في موقع الخصم [عتبة بن ربيعة] أن ينكرها مما يعطيها قوة حجاجية أكبر ، ولذلك لم ينكر [عتبة بن ربيعة] ما ساقه النبي صلي الله عليه وسلم ، بل تأثر بما سمعه من القرآن الكريم ، ولم يستطع أن يخفي ذلك ؛ حيث ظهر هذا التأثر واضحاً عليه من خلال ملامح وجهه التي كشفته أمام زعماء قريش حينما قال بعضهم لبعض: [نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به](٣٢) .

ولم تكن التعبيرات الجسدية هي الوحيدة التي تؤكد علي مدي التغيير الذي أصاب [عتبة بن ربيعة] عندما سمع آيات من القرآن الكريم ، بل كان الحوار الذي دار بينه وبين زعماء قريش خير دليل علي هذا التغيير الذي أصابه ، وذلك عندما جلس إليهم قالوا : [ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيره ، وإن يظهر علـــي العـــرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به] (٣٣) .

ففي هذه الشبكة التركيبية المترابطة تركيبياً ودلالياً في آن واحـــد ، يستلفت نظرنا أنها بدئت بأسلوب الاستفهام [ما وراءك يا أبا الوليـــد ؟] ، الذي يعد بمثابة المرتكز الضوئي لها؛ حيث حاول عتبة بن ربيعة أن يبـــين وجهة نظر زعماء قريش الخاطئة ، فلجأ في ذلك إلي عدة أساليب ، *وهـــذه الأساليب هي :*

[١] **التوكيد** : [أني قد سمعت قولاً].

[٢] **القسم** : [والله ما سمعت مثله قط] .

[والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة] .

[فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم] .

[٣] **النداء** : [يا معشر قريش] .

[٤] **الأمر** : [أطيعوني] .

[واجعلوها بي] .

[وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه] .

[فاعتزلوه] .

[٥] **الشرط** : [فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيره] .

[وإن يظهر علي العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم] .

وعن طريق تغير ملامح وجه [عتبة بن ربيعة] كما لاحظ ذلك زعماء قريش ، فضلاً عن الأساليب الخمسة التي عمد إليها تأكد لديهم هذا التحول الذي أصابه ؛ إذ إنهم قالوا له : [سحرك والله يا أبا الوليد](٣٤) .

والحقيقة أن حوار [عتبة بن ربيعة + زعماء قريش] دليل علي حكمته ويقينه بصدق النبي صلي الله عليه وسلم ، ولكنه كرؤوس الكفر في قريش أصر علي كفره شأنه شأنهم .

[ج] قاعدة علاقة الخبر بمقتضي الحال :

ونص هذه القاعدة [ليناسب مقالك مقامك] (٣٥) .

والحقيقة أن المناظرة التي بين أيدينا لم تخالف هذه القاعدة أبداً ؛ إذ إننا لم نجد كلاما سيق وبينه وبين القضية المطروحة [أمر الدين الإسلامي] جفوة ؛ لأنه من البديهي لو كان الأمر كذلك لقام أحد الطرفين برده .

فالمناظرة كلها من أولها لآخرها تناولت قضية واحدة ، ولم تتطرق إلي أية قضايا أخري ، الأمر الذي أسهم في جعل المناظرة كلها – بالرغم من طولها – نصاً واحداً مترابط الأجزاء ، فمناسبة المقال للمقام مسألة مهمة جداً ؛ حيث إنها تسهم بدور فعال في نجاعة عملية التواصل ، " فلو أن والد تلميذ مثلا سأل أستاذ التلميذ عن مستوي ابنه في مادة الحساب ؟ فأجاب الأستاذ: بأن الطالب لديه شغف بمادة التاريخ ، فهنا يكون الأستاذ قد خرج عن قاعدة الملائمة ؛ إذ إن جوابه لم يكن مساوقاً لمقتضي السؤال"(٣٦) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إذن ، علي المتناظرين أن يجعلا كلامهما مطابقا للمقام ، وأن يتعاونا معاً في تحقيق واستمرار التواصل بينهما ؛ حيث يسهم مبدأ التعاون بكافة قواعده في تحقيق التفاهم والتأثير وإنجاز الفعل ، ويجب علي المتكلم" أن يراعي في كل ما يأتي ويدعي لغوياً ونفسياً واجتماعياً وثقافياً ، بل إنه يسخر في ذلك ما يعين في التبليغ بالإشارة والملامح ؛ ليجد من المخاطب نفسه متعاوناً في الإصغاء ومحاولة الفهم " (٣٧).

[د] قواعد جهة الخبر :

وهي قواعد أربع :

[١] لتحترز من الالتباس .

[٢] لتحترز من الإجمال .

[٣] لتتكلم بإيجـــــــاز.

[٤] لترتب كلامك (٣٨) .

والناظر في المناظرة التي بين أيدينا يلحظ أن المتناظرين[النبي صلي الله عليه وسلم +عتبة بن ربيعة] قد التزما بهذه القواعد كلها ، فكانت مناظرتهما مناظرة ناجحة ، فوفق القاعدة الأولي ، تميزت المناظرة بعدم التباس لفظ من ألفاظها ، ولا جملة من جملها ، بل علي العكس تماماً ، فقد جاءت المناظرة واضحة تمام الوضوح ،لا يشوبها غموض ولا خفاء ؛ إذ لو كان هناك التباس في أحد ألفاظها لقام أحد الطرفين برده وطلب الفهم .

والحقيقة أن الاحتراز من الالتباس التزم به كلا الطرفين التزاماً كاملاً، فلم يكن النبي صلي الله عليه وسلم وحده هو الملتزم بالوضوح

والمباشرة ، بل شاركه في ذلك [عتبة بن ربيعة] ؛حيث كان الأخير حريصا كل الحرص علي وضوح أقواله والتأثير في المخاطَب من خلال ما يأتي :

[١] البدء بكلمة[يا بن أخي] بكل ما تحمله من استثارة نفسية عاطفية ، ولا شك أن الخطاب العاطفي يؤدي دوراً مهماً في تغيير المواقف وطمس الحقائق ، وفي هذا محاولة لتحطيم خطوط الدفاع لدي المحاور، ويستخدمه الآن الكثيرون في دنيا الحوارات وخاصة في الخطاب السياسي .

[٢] التثنية بالثناء علي المحاور [إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة ،والمكان في النسب] (٣٩).

[٣] تعظيم وتهويل الفعل المخالف للمحاور حتي يقر بنفسه بعظم جرمه وخطيئته[وإنك قد أتيت قومك بأمر

عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضي من آبائهم] (٤٠).

[٤] عرض عليه أربعة أمور :

الأول : المال

الثاني : الشرف

الثالث : الملك

الأخير : ويعد هذا العرض عرضاً غير مؤدب ، لكنه حاول أن يخرجه في صورة مؤدبة [وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتي نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع علي الرجل حتي يداوي منه] (٤١) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبصريح العبارة فإن هذا العرض فيه من التلميح من أن الذي لا يقبل العروض السابقة ، فإنه – بلا ريب – في عرف قريش مجنون .

وأما القاعدة الثانية فتتمثل في [الاحتراز من الإجمال] ؛ حيث يجب علي المتناظرين أن يتجنبا الإجمال ؛ لأنه " يحتاج إلي تفسير وتفصيل ، وهذا مالا يستقيم والقصد التداولي والحجاجي للمناظرة " (٤٢) .

والقاعدة الثالثة [الإيجاز] ، فقد اتسمت المناظرة بالإيجاز ؛ حيث جاءت ردود النبي صلي الله عليه وسلم علي عتبة بن ربيعة في عبارات موجزة ؛ بألفاظ قليلة ، كثيرة المعاني التي ألجمت عتبة بن ربيعة، بل أفحمته بدلالاتها وعمقها ، وكيف لا ؟ ، وقد تلا النبي صلي الله عليه وسلم آيات بينات من القرآن الكريم علي عتبة بن ربيعة جعلته يغير موقفه ، فالموقف موقف إيجاز لا موقف إطناب ، فقد اكتفي النبي صلي الله عليه وسلم بتلاوة آيات من القرآن الكريم ولم يزد عليها ؛ يقيناً منه صلي الله عليه وسلم بقوتها الحجاجية ، والدليل علي ذلك أنه عندما انتهي من تلاوتها قال له : [قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك] (٤٣) .

وأما القاعدة الأخيرة [ترتيب الكلام] ، فجاءت المناظرة متسمة بترتيب الكلام ، وحسن تنظيم الأفكار ؛ إذ بدون ترتيب الكلام لجاءت المناظرة هراءً لا طائل من ورائها ، ولقد أحسن المتناظران صنعاً في هذا ، فقد التزم كلاهما بترتيب الكلام وفق الغرض الذي يريده كل منهما ، فقد كان [عتبة بن ربيعة] حريصاً علي ترتيب كلامه ؛ إذ إنه نوع فيه بين الإغراء والتهديد ، وبين مخاطبة العقل ومناجاة القلب ، فبدأ كلامه برفع قدر النبي صلي الله عليه وسلم بقصد إحراجه نفسياً ، ثم بعد ذلك أتبع ذلك بالتلويح بما يعتبره جرائم كبيرة ، لا يجب أن تأتي من هذا الإنسان الرفيع القدر .

ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلي أن هذه القواعد الأربع تعد "عقد اتفاق بين المخاطب والمخاطَب ؛ فلابد أن يراعي المخاطب إمكانات مخاطبه من لغة ، وثقافة ، وحالة نفسية ، ومكانة اجتماعية ، وجميع احتياجاته وتطلعاته ، فيتخذ كل ما يعينه لإنجاح العملية التخاطبية من وسائل التبليغ ، كالإشارة ، والحركة ، ويتحتم علي المخاطب أن يمتثل في الإصغاء، والانتباه ، والتركيز والفهم ، وغيرها من العوامل المسهلة لتلق ناجح وجيد مما يوصل لإنجاح التواصل " (٤٤) .

لذلك كله، فقد رأي [جرايس] أن هذه القواعد هي بمثابة الضوابط لكل عملية تخاطبية ، وعلي الطرفين المتخاطبين الالتزام بها في أثناء الحوار ، وفي حالة ما إذا أخل أحد الطرفين بقاعدة من هذه القواعد "وجب علي الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهره إلي معني خفي يقتضيه المقام، وهذا المعني المصروف إليه يحصل بطريق الاستدلال من المعني الظاهر ومن القرائن، وذلك بالذات ما عبر عنه بالاستلزام التخاطبي " (٤٥).

ثانياً : مبدأ التأدب في المناظرة :

يعد مبدأ التأدب هو المبدأ الثاني من المبادئ التداولية ، ولا يقل أهمية عن سابقه ؛ حيث [يفرض علي المتحدثين أن يحترم بعضهم بعضا في الكلام ، ولذلك فقد أخذت التداولية علي عاتقها البحث في شروط إنجاز العبارة من لدن باث ما من جهة ، ومن جهة آخري بيان أي جهة يمكن لها أن تكون مثل في هذا الإنجاز في مجري الفعل المتداخل الإنجاز الذي يصبح بدوره مقبولاً أو مرفوضاً عند فاعل آخر] (٤٦).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتعود صياغة هذا المبدأ إلي [لاكوف] التي فرعت منه ثلاث قواعد ، يجب علي المتكلم مراعاتها أو مراعاة أحدها ؛ للوصول إلي تحقيق التواصل الناجز ، وهي : –

[١] قاعدة التعفف : أي لا تفرض نفسك علي المتلقي ، ولتحفظ له مكانته ، ولا تتطفل علي شئون الآخرين .

[٢] قاعدة التخير : لتجعل المتلقي يتخذ خياراته بنفسه ، ولا تفرضها عليه ، ولتكن خياراته مفتوحة .

[٣] قاعدة التودد : لتتودد للمرسل إليه ، ولتكن صديقا له (٤٧) .

والمتأمل للمناظرة جيدا يلحظ أن المتناظرين [النبي صلي الله عليه وسلم – عتبة بن ربيعة] قد اهتما بهذه القواعد الثلاث ؛ رغبة منهما في الالتزام بضوابط التهذيب ؛ لتحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام .

تهدف قاعدة التعفف إلي أن يتجنب المتكلم الإلحاح علي المخاطب ، أو إكراهه علي فعل أمر ما أو القبول بفكرته ، وأن يتحري الألفاظ التي تبين التزامه للمسافة بينه وبين المخاطب ، ويتضح ذلك من خلال حديث [عتبة بن ربيعة] إلي [النبي صلي الله عليه وسلم] حينما قال له : [يا بن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضي من أبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع] (٤٨) .

والملاحظ أن هذه الكلمات قد ضمنت للطرفين حرية التصرف في أدوار الكلام ؛ حيث يحرص الأول منهما علي صرف النبي صلي الله عليه وسلم عن دعوته ، في حين يحرص النبي صلي الله عليه وسلم علي رفض هذه العروض المقدمة ؛ يقينا منه صلي الله عليه وسلم أن هذه العروض – مهما بلغت – ما هي إلا مساومات لا قيمة لها .

أما قاعدة التخيير فتقضي بأن يتجنب المتكلم استعمال أساليب الأمر ، واعتماد أساليب الالتماس التي يتم التعبير عنها بصورة غير مباشرة(٤٩).

إذن ، ينبغي علي المخاطِب أن يفسح المجال لمخاطبه ؛ حتي يشعر هذا المستمع بأنه أمام جملة من الإمكانات الخطابية لا أمام إمكانية واحدة ، ويتضح ذلك من خلال قول [عتبة بن ربيعة] للنبي صلي الله عليه وسلم: [فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها] (٥٠).

وقوله صلي الله عليه وسلم : [قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك] (٥١) .

ويعد أسلوب الاستفهام من أبرز الأساليب التي يلجأ إليها المتكلم وفق هذه القاعدة ،فبه يحقق المعترض فعلين كلاميين ؛ الأول [الالتماس] الذي تحققه بواسطة فعل ثانوي هو السؤال (٥٢) ، ثم المقصد الأساسي الذي يقصد حصوله بوساطة الفعل الكلامي غير المباشر . وتمتلئ المناظرة بأسلوب الاستفهام؛ مثل :

[أقد فرغت يا أبا الوليد ؟] (٥٣) .

[ما وراءك يا أبا الوليد ؟] (٥٤).

أما قاعدة التودد ، فإنها توجب علي المتكلم أن يعامل المتلقي معاملة الند للند ؛ حتي يكسب رضاه .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حواشي البحث :

[١] أوريكيوني ، كيربرات : المضمر ، ترجمة : ريتا خاطر ، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٨م ، ص٣٤٧.

[٢] ابن هشام [عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري ت٢١٣ه] : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفي السقا وإبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ج١ / ٣١٣.

[٣] نفسه ، ج٣١٣/١ .

[٤] العياشي أدراوي : الاستلزام الحواري في التداول اللساني .. من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلي وضع القوانين الضابطة ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١١م ، ص١٨ .

[٥] د. محمود نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١١م ، ص٣٣.

[٦] د. طه عبدالرحمن : اللسان والميزان ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩١م، ص٣٨.

[٧] حول هذا المبدأ ينظر :

-searle(j): logic and conversation trard , fr, (in) communication . No. 30 , 1979, P. 45 -46. -lyons .j : linguistic semantics, An Introduction Cambridge University Prees, 1996, P. 277.

[٨] للمزيد حول هذه المبادئ الفرعية الأربعة ينظر :

- شاهر الحسن : علم اللغة السيماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص١٦٩.
- د. عبدالله جاد الكريم : التداولية في الدراسات النحوية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٤م ، ص٤٦.

[٩] د. باسم خيري خضير : التداولية وتحليل الخطاب .. الرؤي والتمثلات ، الشركة العربية المتحدة للتسويق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٧م ، ص٩٢.

[١٠] Thomas , j: Meaning in interaclion . An introduction to Ptagmatics . long man , London and NewYork , 1996 , p. 89.

[١١] د. طه عبدالرحمن : اللسان والميزان ، ص٢٣٨.

[١٢]Hudson, R. A , " The meaning of question" , Language , Vol 51, P. P 1-31.

[١٣] Robin Lakoff: The Logic of politeness. In papers from The ninth Regional meeting Chicago. Linguistic Society. Chicago, 1973, p. p292, 305.

[١٤]Ibid. p. 297 .

[١٥] للمزيد حول هذه القواعد ينظر :

Robin Lakoff : The Logic of Politeness. P. P . 292- 305.

[١٦] Geoffrey Leach, Principles of Pragmatics , Long man , London , 1983, P. 79.

[١٧] عبدالرحمن حسن الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، دار القلم ، دمشق ، ط٧ ، ٢٠٠٤م ، ص٢٧١.

[١٨] جرار جهامي : الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية . دراسة تحليلية نقدية ، دار المشرق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ م ، ص٢٣١- ٢٥١.

[١٩] للمزيد حول آداب المناظرة ينظر : عبدالرحمن حسن الميداني : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، ص٣٧١ وما بعدها .

[٢٠] سورة فصلت : آية ١:٥

[٢١] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ / ٣١٣ وما بعدها .

[٢٢] نفسه ، ج١ / ٣١٤ .

[٢٣] نفسه ، ج١ /٣١٣ .

[٢٤] نفسه ، ج١ / ٣١٣ .

[٢٥] نفسه ، ج١ / ٣١٣.

[٢٦] فيليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلي غوفمان ، ترجمة : د. صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص٨٤ وما بعدها .

[٢٧] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ / ٣١٣ .

[٢٨] جورج لايكوف ومارك جونسن : الاستعارات التي نحيا بها ، ترجمة : عبدالمجيد جحفة ، دار توبقال ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ص٢١٦ .

[٢٩] د. طه عبدالرحمن : اللسان والميزان ، ص٢٣٨.

[٣٠] سامية محصول : الاستلزام الحواري في القرآن الكريم ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ، الجزائر ، العدد[١] ، المجلد [٥]، ٢٠١٧م ، ص٢٦.

[٣١] د. طه عبدالرحمن : اللسان والميزان ، ص٢٣٨.

[٣٢] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ / ٣١٤ .

[٣٣] نفسه .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

[٣٤] نفسه .
[٣٥] د. طه عبدالرحمن : اللسان والميزان ، ص٢٣٩.
[٣٦] جمال حمود : فلسفة اللغة عند فتغشتاين ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٩ م ،ص٢٤٧.
[٣٧] نواري سعودي أبوزيد : في تداولية الخطاب الأدبي . المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، سطيف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص٣٠ وما بعدها .
[٣٨] د. طه عبدالرحمن : اللسان والميزان ، ص٢٣٩ .
[٣٩] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ / ٣١٣ .
[٤٠] نفسه .
[٤١] نفسه .
[٤٢] نورالدين اجعيط: تداوليات الخطاب السياسي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن، ٢٠١٢م ، ص١٤٢.
[٤٣] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١/ ٣١٤ .
[٤٤] عبدالقادر عواد : آليات التداولية في تحليل الخطاب ، مجلة البيان ، عدد[٤٩] ، يونيو ٢٠١١م ، ص٣٠ وما بعدها .
[٤٥] د. طه عبدالرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٠م ، ص١٠٤ .
[٤٦] فان دايك : النص والسياق . استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة : عبدالقادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، د. ت ، ص٢٥٥.
[٤٧] د. عبدالهادي الشهري : إستراتيجيات الخطاب . مقاربة تداولية ، دار الكتاب الجديد ، المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص١٠٠ .
[٤٨] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ /٣١٣.
[٤٩] جاك موشلار وربول آن : التداولية اليوم . علم جديد في التواصل ، ترجمة : سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص٥٨.
[٥٠] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١/٣١٣ .
[٥١] نفسه ، ج١/٣١٤.
[٥٢] جاك موشلار وربول آن : التداولية اليوم . علم جديد في التواصل ، ص٥٩ .
[٥٣] نفسه ، ج١/ ٣١٣ .
[٥٤] نفسه ، ج١/٣١٤ .

نتائج البحث:

في نهاية هذا البحث ، الذي تناول موضوع [مبدأ التعاون والتأدب في الخطاب السياسي.. مناظرة النبي صلي الله عليه وسلم لعتبة بن ربيعة نموذجا]، توصل البحث إلي النتائج الآتية:

[١] تعد المناظرات مجالاً خصباً للدرس التداولي باعتباره درساً يبحث في خبايا وأسرار الاستعمال اللغوي ، والإمكانات التي تتيحها اللغة لمستعمليها ؛ فعن طريقها ؛ أي اللغة يشكك المعترض ، وعن طريقها أيضا يدلل العارض لدفع شكوك محاوره ؛ بحثاً عن نقاط الالتقاء ، ووصولاً للحقيقة التي تنشدها المناظرة .

[٢] يعد مبدأ التعاون هو الأساس الذي يرتكز عليه الاستلزام الحواري من أجل ترتيب الحدث الكلامي .

[٣] حمل مبدأ التعاون عند [جرايس] خلفيات ومنطلقات فلسفية تعني بالخطاب من منطلق خطابي صرف دون الالتفات إلي جوانب عقدية التي كانت عاملاً حاسماً في التصور البلاغي العربي ، فمبدأ الصدق الذي ارتبط بجانب الأخلاق الذي ينشد الكمال في السلوك علي حد قول طه عبدالرحمن ، لم يتطرق له جرايس بالصورة نفسها ؛ لأن عنايته اتجهت نحو الخطاب دون مراعاة جانب التخلق في القول .

[٤] ظهر من خلال البحث الدور المهم والفعال لكل من المبدآين [التعاون والتأدب] في ربط الكلام ، ولذلك لم يكن غريبا علي جرايس حينما جعلهما سبباً مهماً من أسباب تماسك الكلام .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

[٥] إن مبدأ [التأدب] الذي طرحته [لاكوف] يفضل مبدأ [التعاون] الذي طرحه [جرايس] ؛ لأن الأول يجمع بين الحسنيين ؛ أي أنه يجمع بين الجانبين : التبليغي والتهذيبي من الخطاب .

[٦] أسهمت الخلفية المعرفية والمعرفة اللسانية التي ترتبط بالسياق خاصة لدي المخاطب في الكشف عن قصدية المتكلم .

[٧] سعي [جرايس] إلي جعل التحاور أو التخاطب يجري بمقتضي قواعد [مبدأ التعاون] التي تضبط مسار الخطاب .

[٨] شكلت قواعد [مبدأ التعاون] انتقادات كثيرة لدي الدارسين فكان لزاماً إضافة قواعد أخري تسد الثغرات التي خلفتها هذه القواعد وتكون مكملة لها .

[٩] عد الحوار الذي دار بين النبي صلي الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة من الوسائل المهمة التي تساعد علي تبليغ المقاصد ؛ لأنه بدوره يفرض علي كل من المتكلم والسامع الانفعال والتفاعل فيما بينهم .

[١٠] لجأ كل من المتحاورين [النبي صلي الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة] إلي التنويع في الأساليب بين الخبرية والإنشائية ؛ حتي لا يكون أسلوبهما علي وتيرة واحدة .

[١١] تعد عملية التواصل قائمة علي مبدأ عام وهو مبدأ يؤدي دوراً مهماً في نجاح العملية التواصلية ألا وهو مبدأ التأدب الذي كان واضحاً في المناظرة .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : مصدر الدراسة :

[١] ابن هشام [عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري ت ٢١٣ه] : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفي السقا وإبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د. ت .

ثانياً : المراجع العربية :

[١] أدراوي [العياشي] : الاستلزام الحواري في التداول اللساني .. من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلي وضع القوانين الضابطة ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١١م .

[٢] بلانشيه [فيليب] : التداولية من أوستن إلي غوفمان ، ترجمة : د. صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا، ط١، ٢٠٠٧م .

[٣] جهامي [جرار] : الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية .. دراسة تحليلة نقدية ، دار المشرق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

[٤] الحسن [شاهر] : علم اللغة السيماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م .

[٥] حمود [جمال] : فلسفة اللغة عند فتغشتاين ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط١، ٢٠٠٩م .

[٦] خضير [د. باسم خيري] : التداولية وتحليل الخطاب.. الرؤي والتمثلات، الشركة العربية المتحدة للتسويق، القاهرة، ط١ ، ٢٠١٧م .

[٧] أبو زيد [نواري سعودي]: في تداولية الخطاب الأدبي.. المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط١،٢٠٠٩م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

[٨] الشهري [د. عبدالهادي] : إستراتيجيات الخطاب .. مقاربة تداولية ، دار الكتاب الجديد ، المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

[٩] عبدالرحمن [د. طه عبدالرحمن] : اللسان والميزان ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩١م.

: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط٢، ٢٠٠٠م.

[١٠] عواد [عبدالقادر] : آليات التداولية في تحليل الخطاب ، مجلة البيان، عدد[٤٩] ، يونيو ، ٢٠١١م .

[١١] فان دايك : النص والسياق .. استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة : عبدالقادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب ، د.ت .

[١٢] الكريم [د. عبدالله جاد] : التداولية في الدراسات النحوية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٤م .

[١٣] كيربرات [أوريكيوني] : المضمر ، ترجمة : ريتا خاطر ، المنظمة العربية للترجمة ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

[١٤] لايكوف [جورج ومارك جونسن] : الاستعارات التي نحيا بها ، ترجمة : عبدالمجيد جحفة ، دار توبقال ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩٦م.

[١٥] اجعيط [نور الدين] : تداوليات الخطاب السياسي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ٢٠١٢م.

[١٦] محصول [سامية] : الاستلزام الحواري في القرآن الكريم ، مجلة مجمع اللغة العربية وآدابها ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ، الجزائر ، العدد[١] ، المجلد [٥] ، ٢٠١٧م.

[١٧] موشلار [جاك وربول آن] : التداولية اليوم .. علم جديد في التواصل ، ترجمة : سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

[١٨] الميداني [عبدالرحمن حسن] : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، دار القلم ، دمشق ، ط٧ ، ٢٠٠٤م .

[١٩] نحلة [د. محمود] : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١١م .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

1-Geoffrey Leach , Principles of pragmatics , longman , London , 1983.

2-Hudson , R . A , " The meaning of question " language , Vol . 51 .

3-Lyons . J : linguistic Semantics , AnIntroduction cambridge University Press , 1996.

4-Robin Lakoff : The logic of politeness . In papers from the Ninth Regional meeting Chicago. Linguistic society . Chicago , 1973.

5-Searle(J) : Logic and conversation trard , fr , (in) communication . No. 30 , 1979.

6-Thomas , j : Meaning in interaclion . Anintroduction to Pragmatics. Longman , London and NewYork , 1996.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	١٢٨٢٥
٢.	Abstract	١٢٨٢٦
٣.	الإطار العام :	١٢٨٢٧
٤.	[١]مفاهيم ومصطلحات :	١٢٨٣٠
٥.	[أ] مبدأ التعاون : -	١٢٨٣٠
٦.	[ب] مبدأ التأدب :-	١٢٨٣٣
٧.	[ج] المناظرة :	١٢٨٣٥
٨.	[٢] نص المناظرة :	١٢٨٣٨
٩.	[٣] تحليل المناظرة :	١٢٨٤٠
١٠.	أولاً : مبدأ التعاون في المناظرة :	١٢٨٤٢
١١.	ثانياً : مبدأ التأدب في المناظرة :	١٢٨٥١
١٢.	حواشي البحث :	١٢٨٥٤
١٣.	نتائج البحث:	١٢٨٥٧
١٤.	قائمة المصادر والمراجع	١٢٨٥٩
١٥.	فهرس الموضوعات	١٢٨٦٢

تم بحمد الله